



نجمة الفجر: لهذا قام المذهب الشيعي

پديدآورده (ها) : ماردیني، زهير

اديان، مذاهب و عرفان :: العرفان :: اردیبهشت 1358 - شماره 675

از 521 تا 529

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/309104>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 28/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

نجمة الفجر

لهذا قام المذهب الشيعي

بقلم: زهير ماريني

منذ ان بدأت طلائع الراية الاسلامية ترفرف في سماء طهران ، والحديث عن المذهب الشيعي يحتل مكان الصدارة في الصحف والمجلات العالمية ... ولا غرابة في ذلك الاهتمام ، فالاغلبية الكبرى من اهل ايران من الشيعة ، ولكن الغرابة كل الغرابة في هذا الخلط المتعمد بين المذهب الشيعي وبين العقائد الوافدة التي تظاهرت بالتشيع لضرب الدين الاسلامي وما يحوي هذا الدين من مثل عليا استطاعت الصمود على مر الازمان والعصور رغم ضراوة الاعداء وشراستهم •

ان هذه الاغلبية الكبرى التي تمثل (٩٢٪) من اهل ايران الذين يبلغون (٣٥) مليون نسمة ظلت على ولائها لاول مذهب في الاسلام الذي قام قبل ان تقوم المذاهب الاربعة المعروفة • ومن هذه النافذة ، نافذة المذهب الشيعي تسلل اعداء الاسلام للاساءة الى سمعة الثورة الاسلامية ، وكان اول ما تنبه الى هذا التسلل قائد الثورة وراح يعيد السهام الى مطلقها بجرأة وحزم وتصميم •

وحين سألت جريدة (لوموند) الباريسية السيد عن اسباب نداءاته المتكررة للتعاون الصميمي بين الشيعة والسنة ، وربطه بين اهمية هذا التعاون وبين استقلال ارادة الدول الاسلامية اجاب :

(انني اعتقد تماما ان الخلافات بين الشيعة والسنة كانت خلافات حول

الفاظ وكلمات ، ان هذه الخلافات ضخما الاجانب ليزقوا وحدة الدول الاسلامية ، ويستخدموا في تحقيق هذا الهدف بعض الحكومات العميلة للقوى الخارجية ، ونسي الجميع ان وحدة الاسلام امر بها الله وعمل من اجلها نبينا الكريم ، واننا نعتبر الشاه هو احد من ساهموا في خلق هذه الخلافات ، وعندما تتحقق الوحدة بين الدول الاسلامية فستكون احدي القوى الكبرى في العالم .

وفي الماضي عندما وجدت القوى الكبرى ان الدولة العثمانية - التي لم تكن تجمع كل الدول الاسلامية - كانت قادرة احيانا على مقاومة القوى الكبرى وهزمت روسيا القيصرية ، بادرت القوى الكبرى بتجزئة الامبراطورية العثمانية - بعد انتصار الحلفاء - الى اجزاء متعددة وتحولت الى دول تحكمها نفس القوى الكبرى . لقد دعونا دائما الى وحدة المسلمين وان تطالب الشعوب الاسلامية بذا الخلافات) ..

هذا ما قاله قائد الثورة الاسلامية قبل ان ينتقل من باريس الى طهران بساعات قليلة ، فهل بالامكان الاقتراب من الحقائق التي اطلقها السيد والتحدث عنها بلغة العصر ؟ وما هي قصة المذهب الشيعي ؟

سؤال كبير ولا شك ، وسؤال شائك ومعقد ، ومحاولة الاجابة عليه تحتاج الى مشقة واخلاص ، ونحن سنحاول الاقتراب منه تاركين للقراء المجال الفسيح للرد بما يتناسب مع الحقائق العلمية المجردة .

فمنذ ان شبت نار الفتنة في المدينة المنورة سنة خمس وثلاثين هجرية بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، واثارت من الخطوب الجسام ، وسفك فيها ما سفك من الدماء ، وازهق ما ازهق من النفوس ، وانتهكت فيها ما انتهك من الحرمات ، منذ ذلك التاريخ والعالم الاسلامي يواجه المحن ، لقد قضي على سنة الخلافة الراشدة باستشهاد الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وأسس في هذا العالم الاسلامي ملك عنيف لا يقوم على الدين وانما يقوم على السياسة والمنفعة ، وكان يظن حين استقام امر هذا الملك لمؤسسه

عشرين عاما ، انه سيمضي في طريقه وادعا مطمئنا في بني ابي سفيان دهرًا على اقل تقدير ، ولكنه لم يستقر فيهم الا ريثما تحول عنهم ••

ثم لم يتحول عنهم في سرولين ، لان الفتنة لم تنقض بموت يزيد بن معاوية ، وانما قطعت مرحلة من مراحلها ، ثم استأنفت عنفها وشدتها بعد موت يزيد ، فعرضت المسلمين ودولتهم لخطوب ليست اقل جسامه ولا نكرا من الخطوب التي رافقت الفتنة الكبرى في عهد عثمان •

وقد اصبح للمسلمين مثل بعينه من هذا المثل العليا الكثيرة التي دعا اليها الاسلام ، وجعلت الفتنة تدور حول هذا المثل الاعلى لتبلغه فلا تظفر بشيء مما تريد ، وانما تسفك الدماء وتزهق النفوس وتنتهك المحارم وتفسد على الناس امور دينهم وديارهم ، وهذا المثل الاعلى هو العدل الذي يملأ الارض وينشر فيها السلام والعافية ، والذي تقطعت دونه اعناق المسلمين قرونا متصلة دون ان يبلغوا منه شيئا ، حتى استيأس من قربه قادة المذهب الشيعي ولم يستيئسوا من وقوعه ، فاعتقدوا ان اماما من ائمتهم سيأتي في يوم من الايام قيسلا الارض عدلا كما ملئت جورا •••

ولله حكمة اجري عليها امور الناس ، والله بالغ امره ، وقد جعل لكل شيء قدرا ، وها هو الامل يطل على العالم الاسلامي بقيام الثورة الاسلامية في ايران ••• ويبقى السؤال قائما :

كيف نشأ المذهب الشيعي ولماذا ؟

الشيء الذي ليس فيه شك كما يقول الفقهاء والاعلام هو ان الشيعة ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند المتكلمين ومؤرخي الفرق ، لم توجد في حياة الامام علي ، وانما وجدت بعد استشهاد بزمان غير طويل •

وانما كان معنى كلمة الشيعة ايام الامام علي هو نفس معناها اللغوي القديم الذي جاء في القرآن في قول الله عز وجل من سورة القصص :

(ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه • فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه

فوكزه موسى ففضى عليه) الآية •

وفي قول الله عز وجل من سورة الصافات :

(وان من شيعة لابراهيم) •

فالشيعة في هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات معناها الفرقة من الاتباع والانصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما ، والرجل الذي كان من شيعة موسى كان رجلا من بني اسرائيل ، والرجل الذي كان من عدو موسى كان رجلا من المصريين •

بذلك قال المفسرون القدماء الذين تلقوا التفسير عن الفقهاء من اصحاب النبي • وابراهيم كان من شيعة نوح ، اي على سنته ومنهاجه • يرى رأيه ويدين بدينه ، كما قال المفسرون ايضا • فشيعة علي اثناء خلافته هم اصحابه الذين بايعوه واتبعوا رأيه ، سواء منهم من قاتل معه ومن لم يقاتل • ولم يكن لفظ الشيعة ايام علي مقصورا على اصحابه وحدهم ، وانما كان لمعاوية شيعة ايضا • وهم الذين اتبعوه من اهل الشام وغيرهم وليس ادل على ذلك من نص الصحيفة التي كتبت للتحكيم بعد رفع المصاحف في صفين • فقد جاء في هذه الصحيفة :

(هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان • قاضى علي على اهل العراق ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين • وقاضى معاوية على اهل الشام ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين) •

فلفظ الشيعة هنا لا يضاف الى علي ومعاوية كما رأينا ، وانما يضاف الى اهل العراق واهل الشام • يريد كاتب الصحيفة ان يذكر من يناصر عليا واهل العراق من المؤمنين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلها ، ومن يناصر معاوية واهل الشام ، ومعنى ذلك ان الصحيفة تلزم الفريقين المختصين بما فيها ، ولا تلزم هذه الفئة القليلة من المعتزلة الذين ابوا ان يشاركوا في ما جرى من قريب او بعيد •

لم يكن للشيعة اذا معناها المعروف عند الفقهاء والمتكلمين منذ ايام علي، وانما كان لفظا كغيره من الالفاظ يدل على معناه اللغوي القريب، ويستعمل في هذا المعنى بالقياس الى الخصمين جميعا، فلم يكن لعلي قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون من غيرهم من الامة.

والرواة يحدثوننا بان العباس اراد عليا على ان ييسط يده لبياعه، فابى على ان يحدث فرقة بين المسلمين.

والرواة يحدثوننا ايضا ويحدثنا علي نفسه في بعض كتبه الى معاوية بان ابا سفيان اراد عليا على ان ينصب نفسه للخلافة حتى لا يخرج الامر من بني عبد مناف، فابى علي ذلك كما اباه على عمه العباس.

ولكن احدا لم يقل ان العباس كان شيعة لعلي، ولا ان ابا سفيان كان شيعة لعلي ايضا، وانما عرض لهما هذا الرأي فلما لم يستجب لهما علي بايعا ابا بكر ودخلا فيما دخل فيه الناس، كما فعل علي نفسه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه.

ويحدثنا الرواة كذلك ان المقداد بن الاسود وعمار بن ياسر، وربما ذكر سلمان الفارسي، اظهروا الدعوة لعلي اثناء الشورى حتى خاف بعض اهل الشورى تفرق الناس، فطلب الى عبد الرحمن بن عوف ان يتعجل القضاء في الامر. فلما بايع عبد الرحمن بن عوف عثمان دخل المقداد وعمار فيما دخل فيه الناس، كما فعل علي نفسه. ولم يقل احد في ذلك الوقت ان المقداد او عمار كان شيعة علي، وانما رأيا رأيا ثم انصرفا عنه ليونا مع جماعة المسلمين.

ومعنى هذا بلغة العصر ان عليا لم تكن له شيعة ممتازة من الامة قبل الفتنة، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذي يعرفه الفقهاء والمتكلمون اثناء خلافته، وانما كانت كثرة المسلمين الكاثرة كلها له انصارا واتباعا.

وقد استشهد علي وليس له حزب منظم ولا شيعة مميزة، بل لم ينظم الحزب العلوي ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد ان تم اجتماع الامر لمعاوية.

هذا ما يرويه التاريخ، وجاء حديث القصاص واصحاب السير والاساطير فخلطوا بالتاريخ خلطاً عجيباً حتى اصبح من اعسر العسر ان يخلص المؤرخ الى الحق الواضح الصريح في اسر الامور من كل ما يتصل بشأن من شؤون الشيعة ، فلم يكتبوا حديث الشيعة متجردين من شهوات القلوب ونزوات النفوس ، ولا متبرئين من الهوى الذي يفسد الرأي ، ولا من عبث الخيال الذي يخفي حقائق التاريخ .

ان حقائق التاريخ تشهد بان مذهب الشيعة انما قام في حياة معاوية الذي استحدث في المسلمين بدعا جديدة انكرتها النخبة المتأخرة مما بقي من صحابة الرسول ، وهي توريث الملك ، وكانت عاقبة هذه البدعة وبالاً على المسلمين اي وبال ، فما اكثر ما استحل الملوك من المحارم ، وما اكثر ما سفكوا من الدماء ، واهدروا من الحقوق ، وضحوا بمصالح المسلمين ، وما اكثر ما كاد بعض الامراء من ابناء الملوك لبعض في سبيل هذا التراث الذي اكثر ما كاد بعض الامراء من ابناء الملوك لبعض في سبيل هذا التراث الذي لم يجه كتاب ولا سنة ، ولا عرف مألوف من صالحى المسلمين .

وقد تحدثت البلاذري عن رواة ان سعداً بن ابي وقاص الصحابي الجليل دخل على معاوية فقال :

(السلام عليك ايها الملك ، فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا ابا اسحاق رحمك الله لو قلت : يا امير المؤمنين . فقال : اتقولها جذلان ضاحكاً؟ والله ما احب اني وليتها بما وليتها به) .

اذن فالنخبة المتأخرة من اصحاب النبي قد بدأت تنكر على معاوية اشياء كثيرة ، ومن هذه النخبة انطلقت الدعوة الرافضة لكل ما يشذ عن القواعد الاسلامية .

ففي عهد معاوية بدأ الصراع الجدي بين النخبة وبين الحاكم الجديد الذي لم يلتزم بما التزم به الخلفاء الراشدون .

كان الاسلام في عهد الشيخين وفي عهد الامام يريد ان يحمل الناس على

طريق العدل والقسط والحرية ، لا يشقى فيها احد لفقر او ضعف او خمول ، ولا يسعد فيها احد لقوة او ثراء او نباهة شان ، وانما يعيش الناس فيها كراما قد وفرت عليهم حقوقهم بالمعروف ، ليس قبيها تفوق او امتياز الا بالدين والتقوى وحسن البلاء .

وكان الاسلام يريد ان يكون الخلفاء والولاة امناء للناس على حقوقهم واموالهم ومرافقهم ، يدبرونها على ملائمتهم وعن مشاورة ، ويمضونها في غير تجبر ولا تكبر ولا اثر ولا استعلاء ، ويدبرونها كذلك لا على انهم سادة يمتازون من الناس باي لون من الوان الامتياز ، بل على انهم قادة يثق الناس بهم ويطمثون اليهم ويرونهم كفاة للقيام على امورهم ، فيعهدون اليهم بهذه الامور عن رضى واختبار ، لا عن قهر او استكراه ، ثم يراجعهم في هذه الامور من شاء منهم ان يراجعهم فيها . فان استبان لهم انهم اخطوا كان الحق عليهم ان يعودوا الى الصواب ، وان استبان لهم انهم انحرفوا كان من الحق ان يستقيموا على الطريقة .

وعلى هذا النحو الذي كان الاسلام يريد من انحاء الحكم ومن انحاء الصلة بين الحاكمين والمحكومين مضى النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، حتى اختاره الله اجواره مضى خلفاءه على سنته لم ينحرفوا عنها الا قليلا من امر عثمان ، حين غلبه بنو امية على رأيه ، وما اكثر ما راجعه الناس في ذلك فصار الى ما احبوا واعطى النصفة من نفسه ومن عماله غير مرة . واعلن التوبة او استغفر بمشهد من المسلمين ، وعلى منبر رسول الله ، وعلى رغم ذلك ثارت عليه طائفة من المسلمين وطلبت اليه ان يخلع نفسه ، بعد ان ظهر انه لا يحسن مقاومة الطغاة من خاصته وعماله ، فلما ابى ان يخلع نفسه قتلوه . وبويع علي فتشدد على نفسه ، وكان له مال قبل ان يلي الخلافة يغفل عليه دخلا حسنا ، فخرج منه وجعله صدقة وقارق الدنيا ولم يتسرك فيها الا مئات من دراهم ، اقتصدها من عطائه ليشتري بها خادما .

وجاء معاوية وقال ذات يوم بمحضر صمصعة ابن صولجان :

(الارض لله ، وانا خليفة الله . فما اخذت فلي وما تركته للناس فبالفضل مني) وقبله كان عثمان يقف على منبر الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويقول : سأخذ من بيت المال حتى يرضى وان رغست انوف . فقال له عمار بن ياسر : اشهد ان اتقي اول راغم ، وقال له علي : اذن تمنع من ذلك . وقد رد صعصعة بن صولجان على معاوية بما يشبه كلام علي فقال : ما انت واقصى الامة في ذلك الا سواء ، ولكن من ملك استأثر . فغضب معاوية وقال : لهمت . قال صعصعة . ما كل من هم فعل ، قال : ومن يحول بيني وبين ذلك .

قال صعصعة : الذي يحول بين المرء وقلبه ، وخرج ينشد قول الشاعر :

اريفونسي اراغتكم فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد

على هذه السياسة سخطت الشيعة ، وعارضت في كثير من الجدية حتى قتل منها حجر بن عدي واصحابه ، وعلى هذه السياسة سخطت الشيعة وعارضوا بسيوفهم والستهم فقتلوا وقتلوا ، وعلى هذه السياسة سخط الصالحون من اصحاب رسول الله والتابعون لهم باحسان ، ولكنهم كانوا ينكرون في انفسهم ، وربما جمجموا ببعض النكير . وكان عامة المسلمين ، الذين يرون هؤلاء الصحابة والتابعين ويسمعون منهم ، ينكرون مثلهم ويجمجمون ، ومعاوية نفسه وقد ظهرت شيعة الحق في عهده كان ينكر كثيرا من امره حين يثوب اليه فضل من حلمه وعقله فيذكر سيرة رسول الله وخلفائه ويوازن بينها وبين سيرته . ويحدثنا المؤرخون بان معاوية لم يتلق الموت مطمئنا اليه حين الم به ، وانما كان يتوجع ويظهر الجزع ويكثر من ذكر حجر بن عدي ، ومن ذكر اسرافه في اموال المسلمين ، وزعم الرواة ان قتل حجر عدي كان له صدى حتى في اعماق دار معاوية ، فقد حدثنا البلاذري : ان معاوية صلى يوما فاطال الصلاة وامراته تنظر اليه . فلما قرغ من صلاته قالت له امراته : ما احسن صلاتك لولا انك قتلت حجر واصحابه .

فقد كان قتل حجر ظلما حدثا من الاحداث الكبار . لم يشك احد من الاخيار الذين عاصروا معاوية في انه كان صدعا في الاسلام ، بل لم يشك

معاوية نفسه في انه كذلك ، فهو لم ينس قط منذ كان الى ان انقضت ايامه ، ثم هو لم يذكره قط كما ذكره في مرضه الذي مات فيه ، فقد كان يقول اثناء مرضه : ويلي منك يا حجر ! ان لي مع ابن عدي ليوما طويلا ..

لهذا انطلقت الدعوة الشيعية صارخة ضد التصرفات التي اقدم عليها معاوية ، والتي تخالف الاسس الاسلامية ، فالشيء المحقق هو ان معاوية قد استكره نهر من الصحابة على بيعه ابنه يزيد ، وفي عهده استقر في الاسلام لاول مرة الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف ، والذي يرثه الابناء عن الآباء ، واصبحت الامة كأنها ملك لصاحب السلطان بنقله الى من احب من ابنائه ، كما ينقل اليه ما يملك من وسائل المال وجامده .

وقد تم ذلك سنة ست وخمسين للهجرة ، اي قبل ان ينتصف القرن على وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، وروى الطبري ان الحسن البصري قال :

(اربع خصال كن في معاوية ، لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة :

انتزأوه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلفه ابنه بعده سكيما خميلا يلبس الحرير ويضرب بالطنابر ، وادعأوه زيادا ، وقد قال رسول الله :

الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجر بن عدي ، ويل له من حجر واصحاب حجر ، ويل له من حجر واصحاب حجر ..)

ولم يلبث هذا النكر الذي استحدثه معاوية ان تكاثر ، ولم تكن عاقبة هذا كله على آل ابي سفيان الا خروج الملك منهم وانتقاله الى غيرهم ، فقد مات يزيد الذي احدث في الاسلام شروخا ونكبات ما تزال آثارها باقية حتى الان ولما يملك يزيد الا اربع سنين ، قتلته لذته اشنع قتلة ، فقد كان ، فيما زعم الرواة ، يسابق قردا فسقط عن فرسه سقطا كان فيها الموت ..